الفصل السادس

وصايا قيمة للزوجة

أردت أن أضمن هذا الكتاب الوصايا التي ذكرها بعض شيوخنا الكرام، والتي ربما نذكر منها شيئاً في كتابنا. فمن باب إتمام الفائدة ألحقت هذه النصائح بهذا الكتاب، وهي مأخوذة بالنص كما وردت؛ لأن الحذف قد يخل بالمعاني والمرامي التي قصدها المؤلف. فجزاهم الله خيراً ونفع الله بها نساءنا.

يقول الشيخ الكريم موصياً الزوجة بهذه الوصايا القيمة:

1 ـ إن من أهم ما تذكر به الزوجة العروس التزام أحكام الشرع، وتقوى الله في معاملة زوجها ومن يتصل به من الناس. فذلك يشمل الخير كله ويحقق السعادة الكاملة.

2 ـ احرصي يا عزيزتي على أن يجد زوجك بيتك

روضة غنّاء في نظافته وترتيبه، فالبيت مملكتك التي تنتظر إبداعك واهتمامك، والنظافة والترتيب يجعلان من الأثاث المتواضع والأمتعة اليسيرة شيئاً رائعاً، فكيف الأمر إذا كان الأثاث ثميناً؟

وتذكري أيتها الأخت، أن اليوم الذي يقضيه الرجل مملوء بمنغصات العمل، وبما يثير الضيق والتبرم، فاحذري أن يجد عندك ما يسوء من أوساخ، أو بعثرة للأغراض والملابس، أو روائح كريهة، والنظافة من الإيمان، بل هي شطر الإيمان، كما يقول سيدنا رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**»[1].

وقد تتيح لك الأوضاع المادية الحسنة، أن تقتني أدوات التنظيف الحديثة من الغسالة والجلاية والكناسة الكهربائيات، فلا يحملنك وجودها على تجميع الملابس والصحون، وتأخير التنظيف بحجة أن هذه الأداة تنجز المطلوب بسرعة. فقد يكون هذا مما يورث البيت تشويشاً ويفسد أحواله. وذلك كأن تعمد المرأة الكسول إلى إلقاء

(1) أخرجه **مسلم** في (الحديث: 533) و(الحديث: 3571)، وأخرجه **الترمذي** في (الحديث: 3157)، وأخرجه **الدارمي** في «سننه» (الحديث: 1/ 167)، وأخرجه **البيهقي** في «السنن الكبرى» (الحديث: 1/ 10).

ما يتسخ من الثياب في مكان، واستعمال الألبسة الجديدة والنظيفة، حتى لا يبقى منها شيء ويتجمع بذلك عليها غسيل كثير. وقل مثل ذلك في الأدوات التي تستعمل في الطعام.. إذ تتحول كثرة الملابس والأواني إلى عبء ومشكلة.

إن تنظيف ما يتسخ من ثوب أو وعاء على الفور يوفر لك وقتك، ويتيح لك الإفادة من أمتعتك.

3 ـ وعليك بتنظيم وقتك فالتنظيم دعامة الحياة السعيدة، إنك لو خصصت لكل عمل جزءاً من الوقت لم يتعبك العمل ولن تشعري بالملل... وخدمة المرأة في بيتها شرف ورياضة ومتعة. وهكذا كان نساء السلف الصالح من أمثال فاطمة رضي الله عنها وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها وغيرها.

4 ـ واحرصي على ما يرضيه في مطعمه، وعلى ما يبرز نظافته وأناقته في ملبسه، فاعرفي ما يحب من الطعام فأعديه، وينبغي أن يكون إعداده في وقت مبكر، حتى إذا جاء الزوج وجد الطعام جاهزاً. فتأخير ذلك ربما يؤذيه ويفسد عليه عمله ومواعيده.. إن هذه الأمور تبدو هينة يسيرة، ولكن التهاون فيها قد يجعل منها مشكلة. وينبغي أن تهتمي بملابسه التي يظهر فيها أمام الناس، وعليك أن

تتفقديها فتصلحي ما تستطعين إصلاحه. وعليك أن تذكريه بتغيير ملابسه عند اللزوم، فقد تلهيه أعماله عن ذلك.

5 ـ قابليه في كل حين بالابتسامة العذبة، ولا سيما عندما يعود من عمله متعباً مرهقاً. إن هذه الابتسامة تزيد من جمالك وإشراقك، وهي سبيل السعادة المشتركة.

6 ـ آثري رضاه على رضاك، واعلمي أن مسايرتك له ليس عدواناً على شخصيتك، ولكنه عربون المحبة والوفاء، وسيقابلك هو ـ بكل تأكيد ـ بالمثل. والله يقول: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: 60]، والبيت الذي يسوده الشقاق والخصام والشجار، أول من يحترق فيه الزوجة.

7 ـ أطيعيه فيما لا معصية فيه، فالطاعة بالمعروف واجب شرعي على الزوجة، جعل الله ثوابه الجنة يقول ﷺ: **«إذا صلت المرأة خمسها، وحصنت فرجها، وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت»**[1].

---

(1) أخرجه **ابن حبان** في «صحيحه» (الحديث: 4193)، وأخرجه **المنذري** في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 3/ 52) و(الحديث: 3/ 282)، وذكره **الهيثمي** في «مجمع الزوائد» (الحديث: 4/ 305، 306).

والطاعة تابعة لقوامة الرجل التي قررها ربنا في كتابه: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴿٣٤﴾﴾ [النساء: 34]. فإذا كانت إدارة البيت ورئاسته له فالطاعة نتيجة طبيعية... إن رؤساء الشركات والمؤسسات والجامعات والمدارس، يأمرون مرؤوسيهم بأوامر لمصلحة هذه المؤسسات، ولابد لمن كانوا يعملون معهم من الطاعة، وإلا فسدت الأمور وضاعت المصالح، ولا يشعر المرؤوسون بأي غضاضة في طاعة هؤلاء الرؤساء.

إن طاعتك لزوجك تحقق لك ثواب الله وجزاؤه، وتوجد بينكما المحبة وترسخ الود، وتهيىء لك الجو لتحقيق مطالبك التي تتوقف على رضى الزوج، وتساعدك على أن يطيعك أولادك، ذلك لأن المرأة الشريرة التي تعصي زوجها في كل ما يأمرها به، ويرى ذلك أولادها منها، ينشؤون على معصية الأوامر، فلا يستجيبون لآمر في البيت أُماً كان أو أباً.

والطاعة في الإسلام ليست طاعة عمياء.. لا.. بل هي طاعة في حدود المعروف، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. إنها طاعة محدودة بأحكام الشرع المطهر وبحدود الطاقة، إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

إن المرأة المسلمة عندما تطيع زوجها تكون في

طاعة الله وهي بذلك مأجورة، ولا سيما عندما تكون الطاعة فيما لا توافق عليه. بل إن الطاعة لتتجلى في طاعته فيما تكره أكثر مما تتجلى في طاعته فيما تحب. إن طاعته في قبول الجواهر النفيسة ليست كطاعته في تنفيذ أمر لا تريده. وكمال الطاعة يتحقق في أن تؤدي الأمر بكل سرور ورضى، أما إذا أدته متبرمة متأففة، يعلو وجهها العبوس وأمارات الكراهية والضيق، فإن هذه الطاعة كعدمها.

إن إظهارها الرضى والسرور وإشعار نفسها وزوجها بالقناعة مما يخفف عليها تنفيذ ما تكره.

فاحذري أيتها العروس الفاضلة من أن تكوني من أولئك النساء المولعات بمخالفة أزواجهن، فلا تؤمر الواحدة منهن بشيء، إلا سارعت إلى مخالفته، حتى ولو كان في مصلحتها، فهؤلاء يقعن في سخط الله، ويعرضن حياتهن للدمار، وتدعو عليهن الحور العين. عن معاذ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ولا تؤذي امرأة زوجها، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله، فإنما هو عندك دخيل، يوشك أن يفارقك إلينا**»[1].

(1) أخرجه الترمذي في (الحديث: 1174)، وأخرجه ابن ماجه في (الحديث: 2011).

إن الإصرار على مخالفته يوغر صدره، ويجرح كرامته، ويسيىء إلى قوامته فيبادلك ذلك ممانعة لما تحبين ومخالفة لما ترغبين.

وعن ابن أبي أوفى قال: لما قدم معاذ بن جبل من الشام قال: يا رسول الله، قدمت الشام فوجدتهم يسجدون لبطارقتهم وأساقفتهم فأردت أن أفعل ذلك بك، قال: «**فلا تفعل، فإني إن أمرت شيئاً أن يسجد لشيء، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، والذي نفسي بيده لا تؤدي المرأة حق ربها، حتى تؤدي حق زوجها**»[1].

وقد فصلت القول بعض التفصيل في الطاعة؛ لأن أفكاراً وافدة دخيلة علينا تسود في أوساط معينة من نحو قولهن: إن في الطاعة غضاضة على المرأة وإنقاصاً لها، ومن نحو قولهن للعرائس: لا تعوّديه على إصدار الأوامر، وذلك بأن لا تطيعي أمره، إن ذلك كله هراء وباطل، فاربئي بنفسك يا أيتها الأخت الكريمة عن هذا المستوى المنحدر، واعلمي أن حق الله أحق أن يؤدى،

(1) أخرجه **أبو داود** في (الحديث: 2140)، وأخرجه **الحاكم** في «المستدرك» (الحديث: 2/ 187)، وأخرجه **الطبراني** في «المعجم الكبير» (الحديث: 18/ 895)، وأخرجه **البيهقي** في «السنن الكبرى» (الحديث: 7/ 291).

وأن طاعة الزوجة لزوجها فيما لا معصية فيه سبب في استقرار الحياة الزوجية وسيادة التفاهم البنّاء.

وهذه كلمة إلى الفتيات المتدينات:

أيتها الأخت الكريمة ارفقي بزوجك المتدين، فلا تجمعي عليه النكد والشقاء في البيت، مع ما يلقى من أعداء الله في خارج البيت. واعلمي أن طاعتك لزوجك تعدل الجهاد في سبيل الله فهناك حديث غير قوي ولكن معناه صحيح فيه: أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله على الرجال، فإن يصيبوا أُجروا، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء، نقوم عليهم فما لنا من ذلك؟ فقال رسول الله: «**أبلغي من لقيت من النساء، أن طاعة الزوج واعترافاً بحقه، يعدل ذلك، وقليل منكن من يفعله**»[1].

إن هذه الصفات المهمة لها دورها الفعال في تحقيق المودة بين الزوجين، وإقامة دعائم السعادة والسكن..

(1) أخرجه **المنذري** في «الترغيب والترهيب» (الحديث: 3/ 53)، وذكره **الهيثمي** في «مجمع الزوائد» (الحديث: 4/ 305)، وذكره **السيوطي** في «الدر المنثور» (الحديث: 2/ 152)، وأخرجه **البزار** في «مسنده» (الحديث: 7631).

أيتها العروس الفاضلة:

8 ـ ينبغي أن تشعري زوجك: أنه لا فرق بينك وبينه من الناحية المادية، وإياك أن تظهري الطمع في ماله، واحرصي على أن تتعففي إن أعطاك، فإذا قبلت فاشكريه، وإن ذلك مما يرفع قدرك في نفسه. ولا تكثري عليه بالمطالب التي تفوق إمكاناته، فذلك يزعجه ويؤلمه، لأنه لا يستطيع أن يحقق هذه المطالب ويعز عليه أن يظهر أمام زوجته بمظهر العاجز الذي لا يملك تنفيذ ما تطلب. واعلمي أن ذلك إن تكرر منك يؤذك أعظم الإيذاء. ليست الحياة الزوجية ميدان صراع ولا مجال نهب واكتساب. بل هي تعاون على إنشاء بيت سعيد آمن مطمئن. حاولي ـ إذا خصك بشيء ـ أن تذكريه بأن يخص نفسه أيضاً بما تعلمين حاجته إليه، ولا تكن الأنانية مستولية عليك إذا أحسست أنه يحرم نفسه من أجلك.

9 ـ قرري منذ الخطوة الأولى في طريق الزواج الموفق السعيد، أن تكوني عوناً له على الأحداث والأزمات، وأن تمديه بالرأي والصبر وحسن التدبير. شاركيه مآسي الحياة وما أكثرها، فذلك كله مما يزيدك مكانة في قلبه. إن الرجل يبقى محتاجاً إلى امرأة تشاركه آلامه، فذلك يدخل عليه من السكينة والأمن ورباطة الجأش والرضى والسرور، ما يخفف عنه هذه الآلام ويعينه على التغلب على الصعوبات.

إنك عندما تظهرين أمامه مادية قاسية القلب لا تهمك إلا مصالحك، يتضاعف عليه المصاب، ويعظم عليه الألم. إنك بذلك تحفرين لسعادتك القبر الذي تدفن فيه.

والمرأة التي تفقد السعادة مع زوجها يصعب أن تجد سعادة مع أحد من الخلق. إن الحياة في حقيقتها عواطف ومواقف، ومعان أكثر مما هي أمور مادية.

10 ـ احترمي زوجك واحترمي أهله من أعماق قلبك بصدق وحماسة وإخلاص، واعلمي أنه يحب أهله أكثر من أهلك، كما أنك أنت أيضاً تحبين أهلك أكثر من أهله. فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله أو انتقاصهم، فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك.

11 ـ احرصي على الصدق معه ومع غيره، فالصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. صارحيه بالحقيقة في أمورك كلها، وأعلميه بالأحداث التي تتم في غيبته. فالكذب قد ينطلي عليه مرة، ولكنه لن ينطلي عليه في كل مرة، ولا بد من أن تتكشف له الحقائق. فإذا وقر في صدره أنك كاذبة لم يصدقك في أمر. ومن أصعب الأمور على الإنسان أن يعيش مع من لا يصدقه في خبر. إن الكذب يا عزيزتي ينتزع الثقة بك من صدره ويجعله

مرتاباً في كل نبأ تنبئينه به، إن الكذب دليل على المكر والالتواء وهو سبب النفرة بين الزوجين، وسبب إفساد الأولاد في البيت وهو إثم يقود صاحبه إلى النار كما قال ﷺ: «**وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار**».

12 ـ لا تزهدي أيتها الأخت الكريمة بالكلمة الحلوة تقولينها لزوجك، فما أعظم سحر الكلمة الحلوة، لا سيما عندما يشعر الزوج أنها منبعثة بصدق من قلب محب. إن الرجل يحب أن يرى زوجته مهتمة به، هكذا الرجال كلهم، فشجعيه بإبراز محاسنه وتكرارها على لسانك، فليس أحلى على قلب المرء من أن يسمع مدحه بصدق من زوجته، إنه يريد أن يكون ماجداً أمامك صاحب سمعة فلا تترددي في منحه ذلك. وإن رأيت ما يسوءك منه فلا تضخمي الأمر في نفسك، بل اذكري مباشرة صفاته الطيبة. وليس هناك رجل قبيح من كل الجوانب، وليس هناك امرأة قبيحة من كل الجوانب وليس في الدنيا إنسان كامل بل إنك لتعرفين ـ بينك وبين نفسك ـ بعدد من النقائص موجودة فيك ولا ترغبين أن يعرفها الناس، فإذا كان ذلك كذلك، فلماذا لا نقبل الواقع بذكر الجوانب المشرقة الموجودة حقاً.

ومما يتصل بالكلمة الطيبة أن تنتبهي للأمور الآتية:

لا تكثري الشكوى أمامه، ولا تعاتبيه دائماً في الأمور التي لم ترق لك، ولا تظهري انفعالك من أهله وأولاده أمامه. لأن ذلك قد يعكر صفو العلاقة بينكما، وتذكري الصحابية الجليلة أم سليم التي كانت تحرص على رضى زوجها أبي طلحة، حتى في أشد حالات انفعالات الأم الثكلى، فلقد مات ابنها فطلبت من أهل الدار أن لا يخبر أحد منهم زوجها بهذا الخبر، حتى تكون هي التي تخبره، وتزينت أحسن زينة، ومهدت لإخباره تمهيداً يجعل وَقْع الخبر عليه خفيفاً.

إن الكلمة الحلوة أُمنية الرجل الكادح طوال اليوم في عمله، وهي لا تكلفك شيئاً من جهد أو مال.

وإليك يا أيتها الأخت صورة نقلها إليَّ إنسان عن تجربة مؤلمة يعانيها، لتكوني على وعي من تصرفاتك ولتحاذري من الوقوع فيها:

حدثني مسكين من الأشقياء بزواجهم، أنه لا يفتح عينيه إلا على مظهر مفزع من زوجته النافشة شعرها، الرافعة صوتها المزمجرة على أولادها.. فإذا ما استبد بها الغضب وزاد الانفعال، أقبلت نحوه تحمّله المسؤولية في الأوضاع التي تشكو من أولادها، وتذكر تقصيره في

مساعدتها. هذا شأنه في أكثر الأيام .. لا يسمع الكلمة الحلوة، ولا يرى الوجه الباسم، ولا يستمتع برؤية الهندام المرتب، ولا يسعد بقهوة الصباح يحملها وجه صبوح، ولا يشاهد العناية بطعامه وأموره، فكان ذلك سبباً في قيام النفرة من البيت وزيادة كراهية الزوجة، وعزمه على الطلاق.

هناك مشكلات ولكن حلها لا يكون على هذه الطريقة المزعجة المنفرة أبداً، وقد قدمنا الطريقة التي يمكن أن تحل بها المشكلات العائلية.

13 ـ تزيني له وأشعريه باهتمامك الكبير به، ولتكن القضايا التي تهمه هي القضايا الكبرى عندك، حتى ولو كانت ليست كذلك في نظرك.

حاولي أن تجعلي بيته جنة مادية ومعنوية تسعدي ويسعد أولادك، وتقدمي لأمتك الشيء الكثير. والله يتولاك بالتوفيق والسداد.

14 ـ لا تعرضي عليه مشكلاتك ومشكلات الأولاد حال وصوله البيت، لأنك إن فعلت ذلك، فقد قمت باستكمال مسلسل المتاعب الذي يلاقيه خارج بيته، وزدت همومه، وعليك وحدك تحمل النتائج المترتبة على ذلك.

15 ـ ناقشي المشكلات مع زوجك بانفراد دون حضور أحد من الأولاد، أو الأقارب، أو الأصدقاء.

16 ـ عندما يتكلم زوجك أحسني الاستماع له.

17 ـ لا تتردي ولا تبخلي في إظهار محبتك لزوجك وولهك به. فهذا مما يقربه منك ويشده إليك، خاصة في زمن كثر فيه من يجدن فن إغراء الرجال.

ونضيف إلى ما تقدم وصية الأم العربية أسماء بنت خارجة الفزارية وغيرها لابنتها عند زفافها، وجدير بكل أم أن توصي ابنتها بهذه الوصايا، وحقيق بكل زوجة أن تعمل بها لتسعد هي وليسعد من حولها من زوج وولد، ولتكون ريحانة تُشم، وإلا كانت شيطانة تُذم، لا يرى من يقرب منها إلا الشقاء.

أوصت أسماء بنت خارجة الفزارية ابنتها عندما زوجت، فقالت: أي بنية:

إن النصيحة لو تركت لفضل أدب أو لتقدم حسب، لزويت ذلك عنك ولا أبعدته منك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل.

ولو أن امرأة استغنت عن الزواج لغنى أبويها وشدة

حاجتهما إليها، لكنت أغنى الناس عن ذلك، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية:

إنك قد فارقت البيت الذي منه خرجت، وخلفت العش الذي فيه درجت إلى فراش لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فكوني له أرضاً يكن لك سماء، وكوني له مهاداً يكن لك عماداً، وكوني له أمة يكن لك عبداً، واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك بها ذخراً:

أما الأولى والثانية:

فالصحبة بالقناعة.

والمعاشرة بحسن السمع والطاعة.

فإن في القناعة راحة القلب، وفي حسن المعاشرة مرضاة الرب.

وأما الثالثة والرابعة:

فالتعهد لموقع عينيه.

والتفقد لموضع أنفه.

فلا تقع عيناه منك على قبيح. ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة:

فالتفقد لوقت طعامه.

والهدوء عند منامه.

فإن حرارة الجوع ملهبة. وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة:

فالعناية ببيته وماله.

والرعاية لنفسه وحشمه وعياله.

وملاك الأمر في المال حسن التقدير. وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة:

فلا تفشي له سراً، ولا تعصي له أمراً.

فإنك إن أفشيت سره لم تأمني غدره. وإن عصيت أمره، أوغرت صدره.

وإياك والفرح عنده إن كان ترحاً (حزيناً).

والاكتئاب إن كان فرحاً.

فإن الأُولى من التقصير. والثانية من التكدير.

وأشد ما تكونين له إعظاماً، أشد ما يكون لك إكراماً.

وأشد ما تكونين له مرافقة، أطول ما يكون لك موافقة.

واعلمي يا بنية أنك لا تصلين إلى ما تحبين، حتى تؤثري رضاه على رضاك، وتقدمي هواه على هواك فيما أحببت وكرهت.

هذه وصية جامعة لو حَرِصَت عليها كل أم، فعملت بها ولقنتها بناتها، وتمثلتها كل زوجة لنعمت الأسرة المسلمة بالسكينة والاستقرار، وكانت في حصانة ضد عوامل الانهيار، وظللتها السعادة بظلالها الوارفة وشع في ربوعها الأنس والبهجة والمودة والرحمة، فهل من مدّكر؟